

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين, سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, ومن تبعه وسار على دربه, واهتدى بهديه, واستن بسنته, ودعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين, واجعلنا معهم واحشرنا في زميرهم, برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً , وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلاً . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

ربِّ اشرح لي صدري, ويسِّر لي أمري, واحل عقدة من لساني, يفقهوا قولي.

أحبنا الكرام: مستمعي إذاعة المكتب الإعلامي لحزب التحرير, أحييكم بتحية الإسلام, فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

إخوة الإيمان: في هذه الحلقة سنتحدث عن مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة إلى نهاية عهده بها.

فُوجِيَ الْمُسْلِمُونَ سَنَةً ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ هِجْرِيَّةً بِمَقْتَلِ عُمَرَ, فَتَالَ الشَّهَادَةَ وَهُوَ عَلَى أْتَمِّ مَا يَكُونُ قُوَّةً وَنَشَاطًا, وَهُوَ فِي أَطْهَرِ مَكَانٍ وَأَمْنِهِ, فِي الْمَسْجِدِ, يُصَلِّي الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ.

وَكَانَ الَّذِي طَعَنَهُ عَبْدًا فَارَسِيًّا يُقَالُ لَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيِّ, وَكَانَ قَدَّ هَدَّاهُ بِالْقَتْلِ فَمَا بَالِي بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو رافع: ((كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَ أَنْ طُعِنَ, وَكَانَ مُسْتَنِدًّا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِنْدَهُ ابْنُ عُمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: {اعلموا أنني لم أقل في الكلالة شيئاً, ولم أستخلف بعدي أحداً, وأنه من أدرك وفاتي من سبي العزب فهو حرٌّ من مال الله})).

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: {إِنَّ رَجَالًا يَقُولُونَ: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا, وَإِنَّ بَيْعَةَ عُمَرَ كَانَتْ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ, وَالْأَمْرُ بَعْدِي شُورَى, فَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَتَّبِعِ الْاِثْنَانِ الْأَرْبَعَةَ, وَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثَةٍ فَاتَّبِعُوا رَأْيَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ, فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا, وَإِنْ صَفَّقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى فَاتَّبِعُوهُ}.

قال سعيد بن زيد: {إِنَّكَ لَوْ أَشْرْتَ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ انْتَمَكَ النَّاسُ}.

فَقَالَ عُمَرُ: {قَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَصْحَابِي جِرْصاً سَيِّئاً وَإِنِّي جَاعِلٌ هَذَا الأَمْرَ إِلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ السِّتَةِ الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ}.

ثُمَّ قَالَ: {لَوْ أَدْرَكَنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ فَجَعَلْتُ هَذَا الأَمْرَ إِلَيْهِ لَوَثِقْتُ بِهِ: سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الجَّرَّاحِ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قُلْتُ: سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ: إِنَّهُ أَمِينٌ هَذِهِ الأُمَّةَ، وَإِنْ سَأَلَنِي عَنْ سَالِمٍ قُلْتُ: سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ: إِنَّ سَالِمًا شَدِيدَ الحُبِّ لِلَّهِ}.

فَقَالَ رَجُلٌ - هُوَ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ -: {أدُلُّكَ عَلَيْهِ؟ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ}.

قَالَ عُمَرُ: {قَاتَلَكَ اللهُ! وَاللهِ مَا أَرَدْتُ اللهُ بِهِذَا! لا أَرَبَ لَنَا فِي أُمُورِكُمْ، وَمَا حَمَدْتُهَا فَأَرْغَبَ فِيهَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، إِنْ كَانَ خَيْرًا فَقَدْ أَصَبْنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَبَحْسَبِ آلِ عُمَرَ أَنْ يُحَاسِبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَيُسْأَلُ عَنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا وَقَدْ جَهَدْتُ نَفْسِي وَحَرَمْتُ أَهْلِي، وَإِنْ نَجَوْتُ كِفَافًا، لا وَرَرَ وَلا أَجَرَ إِنِّي لَسَعِيدٌ}.

لَقَدْ أَبَى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَجُودُ بِأَنْفَاسِهِ الأَخِيرَةَ الطَّاهِرَةَ أَنْ يَسْتَخْلِفَ أَحَدًا.

وَحِينَ السَّحَّ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ كَي يَخْتَارَ بِنَفْسِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ اسْتَمْسَكَ بِإِيَّائِهِ وَرَفَضَهُ وَقَالَ لَهُمْ: {أَحْمَلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَدَدْتُ أَنْ يَكُونَ حَظِّي مِنْهَا الكِفَافُ، لا لِي وَلا عَلَيَّ!}

وَأَضَافَ قَائِلًا: {أَنِّي إِنْ اسْتَخْلِفْتُ، فَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أبا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرَكَ، فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي رَسُولَ اللهِ - وَاللهُ حَافِظُ دِينِهِ!}

وَوَلَّى عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رُوحَةَ الضَّرَّاعَةَ شَطْرَ اللهِ الرَّحِيمِ، يَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُلْهِمَهُ الرُّشْدَ، وَأَسْبَلَ جَفْنِيهِ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ... وَعَلَى الفُورِ لَاحٍ لَهُ مِنَ اللهِ نُورٌ!

وَكَأَنَّمَا تَذَكَّرَ ذَلِكَ اليَوْمَ البَعِيدَ القَرِيبَ، وَقَدْ أَرَهَفَ الصَّحَابَةَ سَمْعَهُمْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَعْظُمُ وَيُنَادِيهِمْ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ:

« أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أبا بَكْرٍ لَمْ يَسْؤُنِي قَطُّ، فَاعْرِفُوا لَهُ ذَلِكَ! أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي رَاضٍ عَنْ عُمَرَ... وَعَلِيٍّ... وَعُثْمَانَ... وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ... وَالزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ... وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ.. وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ ذَلِكَ.»

ما أَجَلَّهَا من ذكرى تعود في أوانها! فليكن لهؤلاء الستة الذين منحهم الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذا التكريم عاقبة الأمر الذي يشغل الأمير المحتضر!

وَلِيَضَعُ في أعناقهم مجتمعين الأمانة التي حملها طوال سني خلافته في مثل عزم المرسلين!

وهكذا جمعهم حوله ووجه إليهم الحديث:

{إِنِّي نظرت فوجدتكم القادة، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راضٍ، وإنِّي لا أخاف الناس عليكم ما استقمتم... فإذا أنا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام، لا يأت اليوم الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم، وليحضر معكم عبد الله بن عمر مُشيراً، ولا يكون له من الأمر شيء!}

وهكذا جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى في ستة وهم:

1. عثمان بن عفان.
 2. علي بن أبي طالب.
 3. طلحة بن عبيد الله.
 4. والزبير بن العوام.
 5. وعبد الرحمن بن عوف.
 6. وسعد بن أبي وقاص.
- رضي الله عنهم أجمعين -

وجعلَ عبدَ الله بنَ عمر مَعَهُمْ مُشيراً وَليسَ مِنْهُم، وَأَجَلَّهُم ثلاثاً، وَأَمَرَ صُهْبياً أَنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ.

وكان طلحة غائباً في أمواله بالسراة، فدعا عمر الرهط فدخلوا عليه فقال: {إني نظرت لكم في أمر الناس، فلم أجد عند الناس شقاقاً إلا أن يكون فيكم، فإن كان شقاقٌ فهو فيكم ثم قال: إن قومكم إنما يؤمرون أحدكم أيها الثلاثة - لعبد الرحمن وعثمان وعلي - فاتق الله يا علي إن وليت شيئاً من أمور المسلمين، فلا تحملن بني هاشم على رقاب المسلمين، ثم نظر إلى عثمان وقال: اتق الله إن وليت شيئاً من أمور المسلمين، فلا تحملن بني أمية - أو قال: بني أبي معيط - على رقاب المسلمين. وإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبد الرحمن فلا تحملن ذوي قرابتك على رقاب الناس. ثم قال: قوموا فتشاوروا فأمرُوا أحدكم!}

فلما خرجوا قال: {لو ولوها الأجلح لسلك بهم الطريق} - يعني علياً فقال ابن عمر: {فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تقدم علياً؟} قال: {أكره أن أحملها حياً وميتاً!} وقاموا يتشاورون.

قال عبد الله بن عمر: {فدعاني عثمان مرة أو مرتين ليدخلني في الأمر، ولم يسمني عمر، ولا والله ما أحب أني كنت فيه، علما أنه سيكون في أمرهم ما قال أبي - يعني من الشقاق - والله قلما رأيتَه يحرك شفتيه بشيء قط إلا كان حقا!}

فلما أكثر علي عثمان قلت له: {ألا تعقلون؟ أتؤمرون وأمير المؤمنين حي؟} فوالله لكأنما نبهت عمر من مرقد!}

فقال عمر: {أمهلوني فإن حدث بي حدث، فليُصلِّ لكم صهيب - مولى بني جدعان - ثلاث ليال، ثم أجمعوا أمركم، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه!}

وذكر عمر سعداً فقال: {إن وليتم سعداً فسبيلُ ذلك، وإلا فليستشره الوالي، فإنني لم أعزله عن سخطة!} ويروى أنه قال: {فإنني لم أعزله عن عجز ولا خيانة!}

وأرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال: كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء نفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجمعون في بيت أحدهم فقم على الباب بأصحابك، فلا تترك أحدا يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا، وأبي واحد، فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم، وأبي اثنان، فاضرب رأسيهما، فإن رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكّموا عبد الله ابن عمر، فأبي الفريقين حكم له، فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس، ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، اللهم أنت خليفتي فيهم.

فوافى أبو طلحة في أصحابه ساعة قبّر عمر، فلزم أصحاب الشورى، فلما جعلوا أمرهم إلى ابن عوف يختار لهم لزم أبو طلحة باب ابن عوف في أصحابه حتى بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الذي سارت جيوشه الفاتحة إلى كل مكان، فمعاوية يوغل في بلاد الروم، ويقرع أبواب القسطنطينية، وإلى فارس، وسجستان، وخراسان، ومرو يزحف ابن عامر، والأحنف بن قيس، والأقرع بن حابس، فيفتحون ويظفرون، ومهدت الأرض لزحف المسلمين الجسور، حتى بلغوا السودان والحبشة في الجنوب، والهند والصين في الشرق.

ومع هذا الفتح العظيم، كان الإسلام يستقبل شعوباً مختلفة اللسان، ونما المجتمع الإسلامي نمواً هائلاً، ممّا أدى إلى اختلاف اللهجات، ففي بعض الغزوات

التي اشترك فيها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، راعته الطرائق الكثيرة التي يُقرأ بها القرآن، والتي لم تكن من قراءات القرآن العشر المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكد حذيفة بن اليمان يفرغ من تلك الغزوة، حتى امتطى راحلته يسابق الريح إلى المدينة، وهناك وضع القضية بين يدي الخليفة الراشد: (يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كما اختلف الذين من قبلهم في كتبهم).

لم يتوان عثمان رضي الله عنه لحظة واحدة، فكتب المصحف على حرف واحد، وجمع المسلمين في عصره، وإلى الآن على قراءة واحدة، هي القراءة الأم حتى يدفع هذا الاختلاف المنذر بالسوء.

وَتَدُوْرُ عَجَلَةُ الزَّمَانِ، مرةً ثالثة، وتطل الفتنة الكبرى برأسها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، الخليفة الكهل، الذي جاوز الثمانين من عمره، والذي يكره سفك الدماء، وينأى عن القسوة، يرى الثوار المتمردين يحاصرون داره، شاهرين سيوفهم مطالبين بأحد أمرين: (إما اعتزال عثمان وإما قتله) وتواتيه فرص قتالهم وقتلهم فيرفضها قائلاً: (ما أحب أن ألقى الله، وفي عنقي قطرة دم لامرئ مسلم).

وفي ثبات مذهل يرفض الخليفة أن يعتزل، ليس حرصاً على مجد المنصب والجاه، بل لأنه رجل مسؤوليات من طراز فريد. لقد ذكر وصية كان الرسول قد أوصاه بها: (يا عثمان... إذا الله كساك يوماً سربالاً، وأرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه لظالم). وقد كساه الله سربال الخلافة، وها هم أولاء المتمردون الظالمون يريدون بقوة السلاح أن يكرهوه على خلعه، فلم يرضخ ولم يستسلم لهم.

لقد تلقى عثمان دعوة إلى الجنة، ففي إحدى الأمسيات، وبعد أن صلى من الليل ما صلى، وقرأ من القرآن ما قرأ، وألقى نفسه بين يدي ربه ضارعاً مبتهلاً، أوى إلى فراشه ونام، وفي منامه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: (أفطر عندنا غداً يا عثمان) ما أبهجها من كلمات! وعثمان أكثر الناس يقيناً بصدقها، وإذا فليس أمامه سوى وقت قصير لكي يتهيأ لموعد المصطفى ورحلة الخلود.

ولقد سارت المجابهة حتى بلغت منتهاها، ولم يعد بدُّ من أن يتهيأ المسرح لمشهد الختام. أصبح ذلك اليوم صائماً، ودعا جميع الذين في داره وأمامها، ممن يحملون السلاح دفاعاً عنه أن يلقوا سلاحهم، ويغادروا الدار مشكورين وفي رعاية الله. لكنهم جميعاً أبَوْ أن يتركوا مواقعهم حوله.

ثلة كريمة من الصحابة خفوا بأسلحتهم لافتداء الخليفة منهم الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم، أرسلهما أبوهما ليحرسا منافذ الدار، وفيهم عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر وآخرون رضي الله عنهم.

بيد أنّ أمر الخليفة وإحاحه ظلاً يهيبان بكل حامل سلاح أن يلقي سلاحه قال عثمان: (أنشدكم الله ألا تهرقوا بسببي دماً!) وأطل الخليفة على الجمع الحاشد من شرفة داره، ونادى المتمردين بكلمات أخيرة، أراد أن يبيري بها ذمته: (أيها الناس، لا تقتلونني، فوالله لئن قتلتموني، لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون جماعةً بعدي أبداً). وعاد إلى حجرته فصلى ركعتين، ثم حمل مصحفه بيديه، وراح يقرأ ويقرأ متألّقاً بين آياته المحكمات... وروضاته اللينعات.

وَجُنَّ جنون ذلك نفر من زعماء الفتنة، فشدوا على الدار المجاورة شدة واحدة ومن فوق سورها القريب قفزوا كالذئاب الجائعة المسعورة، واقتحموا على الخليفة خلوته، وكان آنذ قد بلغ في تلاوته هذه الآية: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل).

لم يبال الخليفة بهم، واستمر في قراءته بينما اندفع الجناة نحوه؛ ليفترقوا جريمتهم البشعة النكراء... لم يقاوم... ولم يتحرك من مجلسه، لم يتخل عن مصحفه، ولم يزد على أن قال حين أصابت إحدى ضرباتهم الأثمة كفه، فأصابتها في صميمها: (والله إنها لأول يد خطت المفصل، وكتبت أي القرآن)!

وحين رأى دماؤه تتفجر فتضمخ أوراق المصحف طواه؛ حتى لا تطمس الدماء بعض آياته، ثم ضمه وهو يسلم الروح إلى صدره... وحين تمدد جثمانه الطهور ساكناً سكون الموت، كان كتاب الله لصيقه وصديقه، ومن أولى بذلك منه، أليس هو الذي وحده وحفظه واقتاده؟

كان الاغتيال الخاطف لحياته قد تم بين العصر والأصيل، وإذاً فأمام روحه وقت كافٍ لبلوغ موعدها على مائدة الإفطار مع رسول الله في الجنة عند الغروب.

أحبنا الكرام : بهذا نكون قد أنهينا حديثنا عن مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه إلى نهاية عهده بالخلافة، وفي الحلقة القادمة إن شاء الله سيكون حديثنا عن مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالخلافة، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله، أستودعه دينكم وإيمانكم وخواتيم أعمالكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.